ملكة مشهورة قد ذكرها ابن دريد في مقصورته بقوله

وقد سما عمرو الى ارشاده … فاحتط منها كل عالى المنتمى
فاستنزل الزبا قسرا وهى من … عقاب لوح الجو اعلى منتمى

والابوصيرى فى همزيته

كان من وبه فتلته بيديه … فهو من سوء فعله الزباء

واختلف فى اسمها فقيل فارعة وقيل نايلة وعليه قول الشاعر

اتعرف منزلا بين النقا … وبين بحر نايلة القديم

وقيل اسمها ميسون وحاصل قصتها ان جذيمة ابن الابرش كان ملكا على الحيرة وما حولها من السواد وكان شديد الباس هابه القريب والبعيد وهو اول من اوقد الشموع بين يديه واول من نصب المجانيق فى الحرب فغزا مليح ابن البزا وكان ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذى ذكره عدى بن زيد بقوله

واخو الحضر اذ بناه واذ … دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجابله كلسا … فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون وباد … الملك عنه فبابه مهجور

فقتله جذيمة وطرد ابنته الزبا فلحقت بالروم وكانت عاقلة اديبة عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان قال ابن الكلبى ولم يكن فى نساء عصرها اجمل منها وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراها واذا نشرته جللها فسميت الزبا لذلك قال وكان قتل ابيها قبل بعث عيسى ابن مريم عليه السلام فبلغت بها همتها ان جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار ابيها ومملكته فازالت جذيمة عنها وبنت على عراق الفرات مدينتين متقابلتين من شرقى الفرات وغربيها وجعلت بينهما نفقا تحت الفرات وكانت اذا دهمها الاعداء اوت اليه وتحصنت اليه وكانت اعتزلت الرجال فهى عذرا بتول وكانت بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدثته نفسه بخطبتها فجمع خاصته وشاورهم فى ذلك فسكت القوم وتكلم قيصر ابن عمه وكان عاقلا لبيبا وهو خازنه وصاحب

وصاحب امره وعميد دولته فقال ابيت اللعن ايها الملك ان الزبا حرمت الرجال فهى عذرا بتول لا ترغب فى مال ولا جمال ولها عندك ثار والدم لا ينام وانما هى تاركتك هيبة وحذرا والحقد دفين فى سويدا القلب له كمون كمون النار فى الحجر اذا قدحته اورى واذا تركته توارى وللملك فى بنات الملوك الاكفاء المتسع ولهن فيه منتفع لقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن هو دونك وعظم رب شانك فما احد فوقك حكاه هكذا ابن الجوزى وغيره وذكر ابن هشام شارح الدريدية وغيره ان الزبا هى التى ارسلت اليه تخطبه وتعرض عليه نفسها ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه الى ذلك فاستشار وزراءه فكل واحد راى فى ذلك صوابا الا قصيرا فانه قال ايها الملك ان ذلك خديعة ومكر فلم يسمع منه قال ولم يكن قصيرا حقيقة وانما سمى به قال ابن الجوزى فقال جذيمة الراى ما رايته يا قصير وقلته ولكن النفس تواقة والى ما تحب وتهوى مشتاقة ولكل امر قدر لا مفر منه ولا وزر ثم وجه اليها خاطبا وقال له اذكر لها ما ترغبها فيه وتصبوا اليه فجاء خطيبه فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت انعم الله بك علينا وبما جيت به وله واظهرت له السرور والرغبة فيه واكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت قد كنت اضربت عن هذا خوفا من ان لا اجد كفوا والملك فوق قدرى وانا دون قدره وقد اجبت الى ما سال ورغبت فيما قال ولولا ان السعى فى مثل هذا بالرجال امثل لسرت اليه ولنزلت عليه واهدت له هدية سنية ساقت اليه فيها شيئا عظيما فلما رجع اليه خطيبه اعجبه ما سمع من الجواب وظن ان ذلك منها لحصول رغبة فاعجبته نفسه وسار من وقته فيمن يثق به من خاصته واهل مملكته وفيهم قصير وقد استخلف على مملكته عمرو ابن عدى بن اللخمى وهو اول من ملك الحيرة من اللخميين وكان مدة ملكه مائة وعشرين سنة وهذا هو الذى اختطفته الجن وهو صبى ثم ردته وقد شب وكبر فالبسته امه طوقا من ذهب وامرته بزيارة خاله جذيمة فلما راى جذيمة لحيته والطوق فى عنقه قال شب عمرو عن الطوق فارسلها مثلا قال ابن الجوزى فاستخلفه وسار الى الزبا فوصل الى قرية على الفرات يقال لها بقة فنزل بها وتصيد واكل وشرب واستعاد المشورة والراى من اصحابه فسكت القوم وافتتح قصير الكلام فقال ايها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فالى اين يكون تكونه فلا تغتر بزخرف

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)